السوسيولوجية؟ هَلْ يستطيع هذا الوصف أن يقدم فهماً منهجياً للنصوص المدروسة أم أنه يقع في شرك التلخيص وإعادة السرد؟ كيف يتم الربط بين تحديد الدلالات الإديولوجية وبنيات النصوص الروائية؟ كيف يعاد تنظيم المادة المدروسة؟ وما هي علاقة إعادة النظام هذا بالاختيارات المنهجية للناقد؟ . . .

أو ما يتصل بالتأويل، أي كيف يتم تحديد الرواية باعتبارها موقفاً معيناً أي باعتبارها إديولوجياً؟ ما هي العناصر الثقافية والإديولوجية التي تتدخل هي ذاتها في هذا التأويل؟ كيف ينظر إلى الصراع الفكري والإديولوجي في النص، وكيف يتم عزل إديولوجية النص عن الإديولوجيات في النص؟ . . .

أو ما يتصل بالتقويم الجمالي. هل هناك اهتمام بالجانب الجمالي في النص الروائي عند النقاد السوسيولوجيين؟. كيف يتم النظر إلى علاقة البعد السوسيولوجي في الرواية بالبعد الفني؟

وأخيراً هل كانت لدى النقد السوسيولوجي والإديولوجي للرواية في العالم العربي القدرة على بناء نظرية نقدية تمتلك كل وسائل التطبيق بنجاح على نصوص مختلفة؛ بمعنى هل استطاع أن يشرح نظرياً وتطبيقياً مختلف مستويات حضور وعلاقة الإديولوجيا بالرواية؟

ولأن الإديولوجيا ليست هي وحدها المكون الوحيد للنص الروائي فإن عملنا، وهو يتتبع مستويات الممارسات النقدية السوسيولوجية يفسح المجال لكثير من القضايا المتصلة بهذا المنهج لكي تعبر عن نفسها، كل ذلك من أجل تقديم صورة أكثر شمولية عن إشكالية الإديولوجيا في الرواية والرواية كإديولوجيا ذاتها.

ولا يفوتنا أن نشير في النهاية إلى أن معالجة الإديولوجيا بالإديولوجيا من شأنها أن تخلط جميع الأوراق، لذلك كان حِرْصُنَا شديداً في هذا العمل على أن نبقى في حدود الدراسة الوصفية والتأمل الأبستمولوجي؛ ولعل البحث الذي يتصدر القسم الأول في هذا الكتاب قد عالج جميع المشاكل التي يمكن أن تنشأ عن الخلط بين الإديولوجيات، كما عالج كيف يمكن للمتأمل في الإديولوجيا أن يحتفظ بالتباعد المطلوب ويَكُونَ في مَأْمَنٍ من بعض أوهامها.

المؤلف